ISSN 1016 – 4030

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

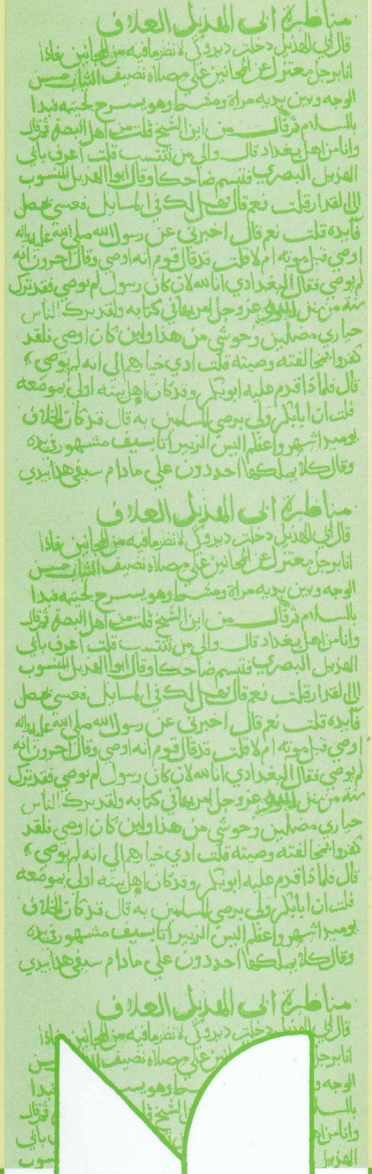

العدد الثالث [١٣١]

السنة الثالثة والثلاثون / رجب - رمضان ١٤٣٨ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

* الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والباحثين والمعنيّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .
* الآراء المنشورة لا تعبِّر عن رأي النشرة بالضرورة .
* ترتيب المواضيع يخضع لأُمور فنّية وليس لأيّ أمر آخر .
* النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها أو بإعادته إلىٰ أصحابه .

المراسلات تعنون باسم : هيئة التحرير .
دورشهر ـ خيابان شهيد فاطمي ـ كوچه ۹ ـ پلاك ۱ و ۳
هاتف : ۵ ـ ۳۷۷۳۰۰۰۱ ـ فاكس : ۳۷۷۳۰۰۲۰ .
البريد الألكتروني : *e-mail : turathona@rafed.net*
ص . ب . ۹۹٦ / ۳۷۱۵٦۵۳۷۷۱ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران .

تراثنا .
العدد : الثالث [۱۳۱] السنة الثالثة والثلاثون / رجب ـ رمضان ۱٤۳۸ هـ .
الإعداد والنشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
الكمّيّة : ۲۰۰۰ نسخة .
الفلم والألواح الحسّاسة : تيزهوش ـ قم .
المطبعة : الوفاء ـ قم .
الاشتراك السنوي : ۲۰۰۰ تومان في إيران ، و ۲۵ دولاراً أمريكياً في بقيّة أنحاء العالم .

علماء الإمامية في بلاد الحرمين في القرن الحادي عشر
على ضوء كتاب العلّامة آقا بزرك الطهراني
(الروضة النضرة في المائة الحادية عشرة)

(١)

وسام عبّاس السبع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

أثناء اطّلاعي على كتاب **الروضة النضرة في المئة الحادية عشرة**[١] للعلّامة الكبير آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م) استرعى انتباهي الحشد الكبير من علماء الإمامية الذين جاوروا مكّة والمدينة لفترات متفاوتة، فالبعض ولد في أرض الحرمين، والبعض الآخر جاور العتبات المقدّسة لبضع سنوات من حياته ثمّ آثر الرجوع لمسقط رأسه، فيما البعض الآخر قرّر قضاء سنوات عمره الأخيرة بجوار بيت الله الحرام أو مرقد النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة ليدفن في أشرف البقاع.

(١) سنعتمد في هذا البحث على النسخة التي صدرت ضمن موسوعة (طبقات أعلام الشيعة) عن دار إحياء التراث العربي ط ١، بيروت ٢٠٠٩م، الجزء الثامن، القرن الحادي عشر.

وأمام هذه الوفرة في المعلومات وغزارة المادّة التاريخية حول الموضوع، وجدتُ من المناسب أن أقدّم قراءة موجّهة لهذا الكتاب القيّم، أستقصي فيها ملامح الدور العلمي والأدبي لعلماء الإمامية في بلاد الحرمين، وذلك من أجل تحقيق الأهداف التالية:

أوّلاً: إبراز قيمة التراث العلمي الذي تركه شيخ الباحثين الحجّة العَلَم الشيخ آقا بزرك الطهراني ﷺ.

ثانياً: إيضاح ملامح الدور الإمامي في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) في (مكّة المكرّمة) و(المدينة المنوّرة) من خلال إعادة اكتشاف دور علماء الإمامية وإسهاماتهم في رفد الحركة العلمية والأدبية في ذلك القرن.

ثالثاً: تقديم دراسة متأنّية وهادئة للجذور التاريخية للوجود الإمامي في مكّة والمدينة، وهو وجود عريق يتّصل بمرحلة صدر الإسلام في القرن الأوّل الهجري، وإزالة الغموض المرتبط بالتاريخ الشيعي في هذه المنطقة نتيجة لسيادة رؤية أحادية تُقصي التأثيرات الشيعية من الذاكرة التاريخية لأسباب ودواعي طائفية ترتهن بشكل كبير لما يجري اليوم من تحوّلات وأحداث سياسية وصراعات دولية.

رابعاً: محاولة إبراز صفحة مشرقة من صفحات التواصل الفكري المثمر بين علماء الإسلام بمختلف طوائفهم، وهي صفحة من تاريخنا الإسلامي المجيد تبعث على الفخر والاعتزاز.

هذه هي أبرز الأهداف التي يتوخّاها الباحث، ويسعىٰ للتأكيد عليها، فإنّ وُفّقَ في ذلك فذلك من فضل الله، وإن أخفق فله شرف المحاولة ومسعىٰ التلميذ.

ولقد استفدنا من بعض المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع البحث، ويأتي كتاب **فرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام** للحسيني الكاشاني و**أمل الآمل** للحرّ العاملي، و**تتميم أمل الآمل** لعبد النبي القزويني، و**سلافة العصر** لابن معصوم المدني، و**حياض العلماء ورياض الفضلاء** للميرزا الشيخ عبد الله الأفندي، من أهمّ المصادر التي اعتمدنا عليها؛ لأنّها أضافت عنصراً جديداً ومعلومات وفيرة علىٰ هذه الدراسة، لاعتبارات ثلاثة:

ـ أنّها مصادر الشيخ الطهراني نفسه في كتابه **الروضة النضرة**.

ـ أنّها مصادر تشترك في الموضوع نفسه وتعالج فترة زمنية واحدة.

ـ وحيث إنّ الطهراني عالج مادّته باختصار، فإنّ هذه المصادر زوّدتنا بتفاصيل أكثر وأضاءت جوانب مهمّة لم يشأ الطهراني بحثها بتوسّع في **الروضة النضرة**، وإنّما قدّم ملامح رئيسية هي بمثابة مفاتيح تخدم القارئ الذي يريد التوسّع في دراسة الشخصيّات والأعلام الذين ترجم لهم.

أمّا بالنسبة للمصادر الأخرىٰ، فمنها: مجموعة كتب حديثة تبحث في تاريخ تلك الفترة الاجتماعي والثقافي، فضلاً عن المقالات والأبحاث المنشورة في عدّة كتب أو مجلّات تبحث في تاريخ المنطقة بالنحو الذي تكشف عنه المصادر والمراجع الواردة في هوامش البحث.

وقبل أن أختم هذه السطور، بودّي أن أتقدّم للصديقين العزيزين اللذين ساهما في قراءة مسوّدة هذا البحث وأغنياه بملاحظاتهما القيّمة، وهما: الأستاذ السيّد علي السادة والأستاذ حسين منصور الشيخ، ومن البداهة أنّني وحدي مسؤول عن نواقص وأخطاء هذا البحث.

والله وليّ التوفيق

وسام عبّاس السبع

البحرين

تمهيد

مكّة والمدينة المجتمع والتاريخ

حفلت منطقة الحجاز بمجموعة من الوقائع المهمّة تاريخيّاً وثقافيّاً واجتماعيّاً، وعندما يرد اسمها غالباً ما يقرن بالتوقير والتعظيم، وقد تضاعفت أهمّيتها بعد ظهور الإسلام في مكّة المكرّمة، عندما سطعت أنواره من بطحائها، وصارت الكعبة المشرّفة قبلة المسلمين، حيث اتّجهت إليها الأنظار وازداد العناية بأمرها.

ولمّا بلغ المسلمون قمّة المجد والسيادة في منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، ازدهرت العلوم الإسلامية في أرجائها، وتنبّه رواة الحديث والمغازي إلىٰ وجوب التصنيف والتدوين في الحرمين، بحيث صار لكلّ منهما رجال قصروا عليهما عنايتهم.

وبدءاً من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، كان الخلفاء والحكّام المسلمين يبدون اهتماماً كبيراً ببلاد الحجاز، وذلك طمعاً في شرف رعاية المقدّسات الإسلامية فيها، إذ كانت الهيمنة علىٰ الحرمين الشريفين تُعدّ إحدىٰ أبرز مؤشّرات السيادة علىٰ العالم الإسلامي، ومن يوليها الرعاية الواجبة فهو الأحقّ بالاتّباع، ولذلك كان الصراع متواصلا عبر التاريخ علىٰ نيل شرف خدمتها والسيطرة عليها.

وممّا يدلّ علىٰ ما يتمتّع به الحرمان الشريفان في مكّة المكرّمة والمدينة

المنوّرة من اهتمام، أنّ جدلاً كثيراً حدث بين العلماء حول أفضلية مكّة المكرّمة على المدينة المنوّرة، أو العكس، شارك فيه كثير من علماء المذاهب الإسلامية، حتّى أنّ الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ألّف رسالة صغيرة في هذا الشأن سمّاها: **الحجج المبينة في التفضيل بين مكّة والمدينة** قرّر فيها تفضيل المدينة المنوّرة على مكّة المكرّمة بقوله: «الذي تميل إليه النفس تفضيل المدينة»[١].

وقد تَناولَ السيّد علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) مسألة الصلاة في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وأضرحة آل البيت، وبيَّن أفضليّتها على بعضها ورجّح استحباباً مجاورة مكّة المكرّمة خلافاً لما ذكره غيره مستنداً في ذلك على ما رواه ابن بابويه، فقال: «وأمّا كون الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فيدلّ صريحاً ما رواه رئيس المحدّثين أيضاً في كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن مسعد بن صدفه عن الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله صلاةٌ في مسجدي تعدل عند الله عشرة آلاف صلاة في غيره من المساجد إلّا المسجد الحرام؛ فإنّ الصلاة فيه تعدل ألف صلاة في مسجدي)، وفي هذا المعنى أخبار أخر»[٢].

ثمّ إنّ المستفاد به في ذلك ما جاء من أحاديث آل البيت عليهم السلام، في كون

---

(١) الحجج المبيّنة في التفضيل بين مكّة والمدينة: ٤٣.

(٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام ٤٧٦/١ ـ ٤٧٧.

مكّة أفضل من سائر بقاع الأرض، وأنّ الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله[١].

مكّة المكرّمة:

وقد اختُلِفَ في سبب تمسيتها؛ فقيل: سمّيت مكّة لأنّها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك، وقيل لازدحام الناس فيها حيث يقصدونها من جميع الأطراف من قولهم: امتكّ الفصيل أخلاف الناقة إذا جذب جميع ما فيها جذباً شديداً فلم يَبقَ فيها شيئاً، وهذا قول أهل اللغة. وقال آخرون: سمّيت مكّة لأنّها لا يفجر بها أحد إلّا بكّت عنقه، فكان يصبح وقد التوت عنقه. وبكّة موضع البيت، وما حول البيت مكّة[٢].

وبكّة هي مكّة بيت الله الحرام، أبدلت الميم باء، وقيل بكّة بطن مكّة، وقيل: موضع البيت المسجد ومكّة وما وراءه، وقيل: البيت مكّة وما ولاه بكّة، وقال ابن الكلبي: «سمّيت مكّة لأنّها بين جبلين بمنزلة المكوك، وقال أبو عبيدة: بكّة اسم لبطن مكّة، وذلك أنّهم كانوا يتباكّون فيه أي يزدحمون»[٣].

وتُعدّ مكّة المكرّمة أوّل بلد مقدّس في الإسلام، ففيها أوّل الحرمين

---

(١) رياض السالكين ٤٧٦/١ ـ ٤٧٧.

(٢) معجم البلدان ١٨٢/٥.

(٣) معجم البلدان ٤٧٥/١.

وثاني القبلتين، وهي مهبط الوحي والتنزيل ومحطّ أنظار المسلمين، يتوجّهون شطرها ويحجّون إليها من كلّ حدب وصوب، فلا عجب أن تهفوا إليها قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فيرجون الله مخلصين أن يمنحهم التوفيق لزيارتها، ويكتب لهم حجّ البيت فيها وزيارة قبر نبيّه ﷺ قبل أن يتوفّاهم الله ويفارقون هذه الحياة الدنيا.

ولم تكن رحلة الحجّ في الفترة التي ندرسها سهلة يسيرة على المسلمين بالشكل التي هي عليه اليوم، فقد كانت حرارة الشمس الحارقة تصهر الأجساد الآدمية في وهاد الحجاز القاحلة، وكان على الحجّاج أن يتلاءموا مع برودة ليل الصحراء، وكان عليهم أن يقاسوا آلام الجوع وكظّة العطش وهم يلهجون بصوت جهير دون توقّف: «لبّيك اللهمّ لبّيك».

كان موكب الحجيج يشقّ طريقه الصحراوي بمهابة، وكانت القوافل تسير بجمالها الملفوفة بالسجّاد، وكانت النساء على الجمال يهلّلن على طول الطريق، وكذا كان يفعل الرجال الذين كانوا يقودون الجمال[1].

وكان الخوف يسيطر على الحجّاج وهم يترقّبون الهجمات التي يشنّها الأعراب، وكثيراً ما لاتقتصر هذه الهجمات على السرقة والنهب، إذ يسقط فيها ضحايا كثر، ومن كان ينجو من القتل تتربّص به الصحراء بقسوتها، فيموت وهو يحاول الفرار عطشاً، والمحظوظ من تكتب له النجاة في هذه التجربة المهلكة.

---

(١) مكّة المكرّمة في عيون رحّالة نصارى: ٩٦.

ويعطينا الرحّالة الألماني يوهان وايلد Johann Wild ـ على سبيل المثال ـ معلومات حول رحلته للحجّ في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) كعبد رقيق مع سيّده الفارسي إلى مكّة ضمن القافلة المصرية، وقد عسكر القائد (أمير الحجّ) في حديقة تبعد ميلين عن القاهرة قبل أسبوع، وتقاطر الحجّاج إلى هناك بالتدريج، أطلقت الأبواق إيذاناً ببدء الرحلة، كان الحجّاج يسيرون في نظام لكي تسهل مراقبتهم في أثناء الرحلة، كانت تحمل الجمال في أرتالٍ الواحدُ تلو الآخر، ومئة من الجنود المماليك المرافقين ومعهم ستّة مدافع. كان ثلاثون جملاً تحمل سلالاً فارغة لوضع الذين يمرضون من الحجّاج فيها. وكان كلّ رجل يحمل جوداً مملوءاً بالماء يكفي لثلاثة أيّام، لم يكن هناك إمكانية لإعادة ملئه قبل الوصول إلى السويس، وما كان شيء أثمن من الماء آنذاك. كان من المناظر المألوفة أن ترى الحجّاج الفقراء يطوفون بالمعسكر يتسوّلون، وحينما يُقَدّم لهم الطعام كانوا يرفضون قائلين: «لا نريد أن نأكل لكن إكراماً لله شربة ماء».

بعد عبور السويس جابوا شبه جزيرة سيناء، وكانوا يقضون يوماً كاملاً في شقّ طريقهم عبر الممرّ المرعب لسلسلة العقبة، وهي سلسلة جبال عالية وصخور شاهقة، كانت الجمال تقاد من خطامها بينما سار الحجّاج على الأقدام، مكثوا يومين في مدينة العقبة في الوادي حيث آبار مياه الأمطار الحلوة يحرسها الجنود المماليك خوفاً من البدو.

كان عدد رجال القافلة (٢٠٠٠٠) وعدد الجمال (١٠٠٠٠٠). وصلوا إلى

ينبع ـ وتقع في منتصف الطريق إلىٰ مكّة ـ في زهاء ١٩ أو ٢٠ يوماً، وكان عدد الوفيات (١٥٠٠) رجل و(٩٠٠) جمل. بعد ينبع تعرّضوا لمضايقات من البدو وهم يعبرون الجبال[١].

المدينة المنوّرة:

أمّا (المدينة المنوّرة)، فسمّيت أيضاً يثرب، قال أبو القاسم الزجّاجي: «يثرب مدينة رسول الله ﷺ، سمّيت بذلك لأنّ أوّل من سكنها عند التفرّق يثرب بن قانية بن مهلائيل ابن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سالم ابن نوح عليه السلام، فلمّا نزلها رسول الله ﷺ، سمّاها طيبة وطابة كراهية للتثريب، وسمّيت مدينة الرسول لنزوله بها.

وقال النبي ﷺ، لمّا هاجر: «اللهمّ إنّك أخرجتني من أحبّ أرضك إلَيّ فأسكنّي أحبّ أرضك إليك، فأسكنه المدينة»[٢].

وللمدينة تسعة وعشرون اسماً ذكرها ياقوت الحموي في **معجم البلدان**[٣]، وتكتسب المدينة قداسة خاصّة عند المسلمين لشرافة ما ضمّته

---

(١) المصدر السابق: ٩٥ ـ ٩٦، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١٩٤/٢.

(٢) معجم البلدان ٤٣٠/٥.

(٣) وهي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبّة، والمجبّة، والمحبورة، ويثرب، والناجية، والموفية، وأكّالة البلدان، والمباركة، والمحفوفة، والمسلمة، والمجنّة، والقدسية، والعاصمة، والمرزوقة، والشافية، والخيرة، والمحبوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والقاصمة، وطابا. انظر: معجم البلدان ٨٣/٥.

في ترابها. وقد روي عن النبي ﷺ قوله: «ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق، قالوا: المدينة ومكّة»[١]. وقال ﷺ: «من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليفعل فإنّه من مات بها كنت له شهيداً (أو شفيعاً) يوم القيامة»[٢].

التركيبة الاجتماعية في مكّة والمدينة:

انقسم مجتمع (مكّة المشرّفة) و(المدينة المنوّرة) في القرن الحادي عشر الهجري إلىٰ مجموعة متنوّعة من الطبقات:

ـ أولىٰ هذه الطبقات في مجتمع مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة هي (طبقة الأشراف)، والأشراف ينتسبون إلىٰ سيّدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنهم آل الحسن بمكّة المكرّمة وآل الحسين بالمدينة المنوّرة[٣]، وقد بدأ ظهور طبقة الأشراف سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م)، حينما استقلّ أبناء الحسن والحسين بمكّة والمدينة وتولّوا أمور الحجاز[٤]، وأصبح هذا اللقب يطلق علىٰ أمراء الحرمين الشريفين وأفراد عائلاتهم، فلم يكن هذا اللقب معروفاً في بلاد الحجاز من قبل[٥]، وتمتّع الأشراف داخل المجتمع الإسلامي بمكانة

---

(١) معجم البلدان ٨٣/٥.

(٢) معجم البلدان ٨٣/٥.

(٣) شفاء الغرام ١٩٤/٢.

(٤) إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفاء: ١٠١.

(٥) العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميّين والأيّوبيّين: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

عظيمة، حيث تمتّعوا بالاحترام والتقدير من قبل الجميع، وقد سكن بعضهم المدينة المنوّرة وما حولها، وبعضهم سكن منعزلاً عن بقية السكّان[١]، وكان اختيار أمير المدينة من بينهم لرفعة مكانتهم.

ـ ومن الطبقات التي كانت ذات شأن عظيم داخل مجتمع مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة هي (طبقة أصحاب الوظائف الدينية) وتتمثّل في القضاة والخطباء والقرّاء والمؤذّنين والأئمّة وغيرهم[٢].

ـ وأجلّ تلك المناصب كان (منصب القضاء)، فهي الوظيفة الثانية بعد (ولاية إمارة المدينة)، فلابدّ أن يكون القاضي في المدينة من كبار العلماء والفقهاء لعظمة وظيفته[٣]، حيث كانوا يختارون من رجال العلم وأهل الدين، ويقومون على تنفيذ الأحكام الدينية على كلّ الناس، وقد وجد في المدينة قضاة لجميع المذاهب، فكان لكلّ طائفة إمامها وقاضيها[٤]، كما تمتّع القضاة بنفوذ كبير داخل الدولة وباحترام أمراء بلاد الحجاز، وكذلك سلاطين المماليك بمصر، وعاش هؤلاء القضاة في سعة من العيش نتيجة لما أغدقته الدولة عليهم[٥].

ـ وأمّا خطباء المدينة فهم يأتون بعد القضاة في مكانتهم، وكما كان

---

(١) الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية: ٥٩.

(٢) المجتمع الحجازي في العصر المملوكي: ١٩.

(٣) العلاقات بين مصر والحجاز: ٢٢٩.

(٤) رحلة ابن بطّوطة المسمّاة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ؟؟؟

(٥) المجتمع الحجازي في العصر المملوكي: ٢٠.

لكلّ طائفة قاض، كان لها إمام يؤمّها في صلاتها، فلكلّ إمام مكان محدّد في المسجد يصلّي فيه مع أتباعه[١].

ـ ومن أبرز الطبقات في مجتمع مكّة والمدينة: (طبقة المجاورين)، وهم يشكّلون جزءاً كبيراً في البناء الاجتماعي لمجتمع المدينة المنوّرة، حيث استقرّوا واندمجوا مع السكّان الأصليّين، وهم من أكبر طبقات المدينة عدداً، وتسميتهم تأتي من الجوار والمجاورة، وتعني المجاورة البقاء في مكّة والمدينة لفترة غير معلومة تنتهي بخروج المجاور من إحدىٰ هاتين المدينتين أو الوفاة بهما[٢].

وتتكوّن هذه الطبقة من كثيرين قدموا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للمجاورة بجوار المسجد النبوي، وتعدّدت بلدانهم، خاصّة مصر والشام والعراق والمغرب واليمن وفارس وبلاد ما وراء النهر وغيرها، وكان منهم العلماء والتجّار وطلبة العلم وأرباب الوظائف الدينية كالأئمّة والقضاة وجماعات أخرىٰ وفدت علىٰ المدينة. ولفضل المجاورة بها، ما لبثوا أن استقرّوا واندمجوا مع سكّانها وشاركوهم في الحركة العلمية والاقتصادية[٣].

ولم تكن مدّة مجاورتهم محدّدة، فقد تطول أو تقصر، تبعاً لرغبة المجاور وأحوال مكّة والمدينة خلال فترة وجوده، فقد يمكث بعضهم بضع

---

(١) الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريّين: ٢٠٦.

(٢) لسان العرب ١/٥٣٠ ـ ٥٣١.

(٣) العلاقات بين مصر والحجاز: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

سنوات، وآخرون يفضّلون الإقامة حتّىٰ يدركهم الموت، ومارس العديد منهم بعض الأعمال إضافة إلىٰ تولية الوظائف الدينية، ومنها إمامة الحرم النبوي والأذان والقضاء والتدريس والفتوىٰ، ومنهم طلّاب للعلم[١]، وقد نالوا الرعاية من جانب الحكّام المسلمين.

ـ أيضاً، شكّلت (طبقة الأغوات)[٢] طبقة ذات خصائص اجتماعية خاصّة؛ والأغوات هم من يقومون علىٰ خدمة المسجد النبوي الشريف، بعضهم من أصل حبشي أو صقلبي، وكان صلاح الدين الأيّوبي هو الذي ثبّت قاعدة الخدّام في الحرم النبوي، وأوقف عليهم الأوقاف والجامكية[٣]، ولهم كتاب بذلك وقفهم فيه على الحرم النبوي الشريف سنة ٥٦٨هـ (١١٧٢م)، كان موجوداً لديهم إلىٰ أيّام السخاوي[٤].

كانت طبقتهم كما ذكرها السخاوي في كتابه **التحفة اللطيفة** تقوم بحفظ المسجد نهاراً، ومباشرة قفل أبوابه، والمبيت فيه لحراسته، ممّا هو الأصلي في ابتكارهم، وتنزيل القناديل وتعليقها للتعمير والوقود وغسلها أومسحها وإسراج ما يوقد منها سَحَراً، والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل لتفقد من

---

(١) الحياة العلمية الاجتماعية في مكّة: ١٤٤.

(٢) الأغوات جمع آغا والمقصود بها خدّام سيّد السادات ﷺ. ينظر: تحفة المحبّين والأصحاب في معرفة ما للمدنيّين من الأنساب: ٥٣.

(٣) الجامكية: لفظ فارسي مشتقّ من جامة بمعنىٰ اللباس؛ أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي وقد ترد بمعنىٰ الأجر أو الراتب أو المنحة والجمع (جامكيات، جوامك، جماكى) ينظر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي: ٥١.

(٤) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٦١/١ ـ ٦٣.

يخشىٰ مبيته ، ويرجعون عليه بالمنع ولا يبيت فيه إلا الفرّاش لإطفاء القناديل وفتح الأبواب للمؤذّنين وكنس المسجد والروضة والحجرة كلّ جمعة مع مسح الجدر كلّ سنة وفرش بساط أمير المدينة[١] .

ـ كما كانت لـ(طبقة التجّار) مكانة كبيرة في المجتمع المكّي والمدني ، وتتكوّن هذه الطبقة من التجّار الذين يعملون في التجارة بين الشرق والغرب[٢] ، حيث يأتون إلىٰ الأماكن المقدّسة بالأطعمة والمؤن المختلفة التي تحتاجها ويشترون من أهلها بضائعهم ، وخاصّة التمر الذي تشتهر به المدينة وتصدّره إلىٰ الخارج[٣] ، وقد قام التجّار بدور كبير في تجارة بلاد الحجاز لاعتماد هذه البلاد بالدرجة الأولىٰ علىٰ التجارة[٤] ، لذا كانوا طبقة ثريّة داخل المجتمع لما يعود عليهم من ثراء بسبب اشتغالهم بالتجارة[٥] .

ـ وإلىٰ جانب هذه الطبقات ، كانت هناك (طبقة العامّة) ، وهي التي تمثّل الغالبية العظمىٰ داخل مجتمع المدينة ، فمنها الفلّاحون الذين يمثّلون فئة فقيرة داخل المجتمع ، نظراً لطبيعة أراضيها قليلة الأمطار[٦] . فضلاً عن أنّ الحرفة الأساسية عند أهل مكّة والمدينة هي الرعي ، نظراً للبيئة التي كانوا

---

(١) المصدر نفسه ٦١/١ ـ ٦٣

(٢) العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميّين والأيّوبيّين : ٢٣٨ .

(٣) الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عبّاس حلمي باشا الثاني خديوي مصر : ٢٥٩ .

(٤) الرحلات المغربية والأندلسية : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٥) المدينة المنوّرة في العصر الأيّوبي : ١٢٢ .

(٦) العلاقات بين مصر والحجاز ، زمن الفاطميّين والأيّوبيّين : ٢٣٨ .

يعيشون فيها، ولأنّها الحرفة المفضّلة عند العربي التي تتّفق مع طبيعة الأرض[١].

ـ كذلك، كان هناك (الأعراب) الذين يعيشون خارج الأماكن المقدّسة في مكّة والمدينة في المناطق المحيطة بها، وعلىٰ طول الطرق المؤدّية إليها، فهم فئة من الناس احترف بعضهم السرقة والنهب والاعتداء علىٰ الحجّاج وسلب أموالهم، كما ظهر خطرهم أيضاً علىٰ أهل بلاد الحجاز[٢].

ولم يكن إرضاء هؤلاء الأعراب والقبائل بالأمر اليسير، فكثيراً ما تعرّضوا لقوافل الحجّاج بأعمال القتل والسلب والنهب، بل كانوا يغيرون علىٰ المدينة المنوّرة للسلب والنهب أيضاً[٣].

ـ وإلىٰ جانب هؤلاء، شكّل (العبيد) إحدىٰ طبقات مجتمع مكّة والمدينة، وكان منها أتباع الأمير وأعوانه وخواصّه الذين يسهرون علىٰ راحته وخدمته، بالإضافة إلىٰ تنفيذ أوامره، حيث كان لكلّ أمير مجموعة من العبيد من أجناس مختلفة، فمنهم الفرس والروم والبربر والأحباش والنوبة والزنج، وكلّ مجموعة من هؤلاء كانت لهم عاداتهم من الأطعمة والأشربة والملابس[٤].

---

(١) العلاقات بين مصر والحجاز، زمن الفاطميّين والأيّوبيّين: ٢٣٨.

(٢) الرحلات المغربية والأندلسية: ٢٠٢.

(٣) شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثماني: ٢٢ ـ ٢٣.

(٤) مظاهر الحياة الاجتماعية في مكّة والمدينة إبّان القرن الثامن الهجري من خلال كتب الرحّالة: ١٢٣.

ـ وكذلك كانت هناك مجموعة تعمل في الحقول والبساتين للخدمة فيها وحراستها ورعي المواشي. ولولا هؤلاء ما قامت زراعة بالمدينة، وكانوا يتقاضون مقابل ذلك بعض من الغلّة، ومنهم يقوم بالخدمة في البيوت وهم يسمّون بالنخولة[١]، كما كانت الإماء والجواري منهم من يجلبن من أسواق النخاسة، منهنّ الحبشيّات والروميّات والشركسيّات والعربيّات من مولّدات المدينة والطائف واليمامة ومصر[٢].

(١) المدينة المنوّرة في العصر الأيّوبي ١٢٣/٢.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ٤٣٢.

أوّلاً: كتاب (الروضة النضرة) وسيرة مؤلّفه

١) أهمّية كتاب (الروضة النضرة):

من الخصائص المميّزة في التراث العربي الإسلامي عنايته الشديدة بكتب السير، وقد ولع المؤرّخون العرب بهذا الفنّ وسبقوا الأمم المعاصرة في هذا المضمار، فتنوّعت تأليفاتهم وتعدّدت، فمنها ما رتّبت السير فيه علىٰ طبقات، فهناك كتب لطبقات الشعراء، والنحاة، والأدباء، والأطبّاء؛ ومنها ما تعدّىٰ إلىٰ تراجم الأعيان عامّة دون الاقتصار علىٰ طبقة خاصّة؛ ومنها ما رتّبت السير فيه علىٰ المشاهير في هذا القرن أو ذاك، فهناك كتاب في أعيان القرن الثامن[١]، وذلك في أعيان القرن التاسع[٢]، وهناك كتب في القرن العاشر[٣]، وآخر في أعيان القرن الحادي عشر[٤] والثاني عشر[٥] والثالث عشر[٦].

وتأتي أهمّية كتاب **الروضة النضرة في المائة الحادي عشرة** من حيث كون مؤلّفه عالماً من طبقة العلماء المتخصّصين في المخطوطات، فقد أفنىٰ

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

(٣) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة.

(٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.

(٥) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.

(٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر.

آقا بزرك الطهراني جُلَّ حياته في جمع وملاحقة التراث الإمامي المخطوط.

وهو صاحب الكتاب الذائع الصيت: **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة**[١] وفكرة تأليفه كانت في مدينة الكاظميّة أيضاً في قصّة معروفة حدثت له مع السيّد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) والشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) إذ اتّفقوا في تلك البلدة وأقسموا علىٰ وضع ما يخدم الطائفة ردّاً علىٰ جرجي زيدان الذي أنكر في أحد كتبه عدم وجود تصانيف للشيعة، والثلاثة كتبوا ووفّقوا في ذلك[٢].

---

(١) وصفه عبد الجبّار عبد الرحمن في كتابه دليل المراجع العربية والمعرّبة بقوله: «جمع فيه الكتب المؤلّفة علىٰ مَرّ العصور، ورتّبها حسب العناوين، وإذا تشابهت يُراعي فيها أسماء مؤلّفيها. وهو عمل ببليوغرافي رائع لم يظهر مثله أو ما يُوازيه في البلاد العربية في العصر الحديث، يضع أوّلاً اسم الكتاب بين قوسين، ثمّ يذكر اسم المؤلّف الكامل وسنيّ ولادته ووفاته (إن وجدت)، ومكان وجود الكتاب وذكر بدايته». ينظر: الفضلي، عبد الهادي: أصول تحقيق التراث: ٧٦.

(٢) وكان الباعث علىٰ تأليف الذريعة هو ما ذكره (جرجي زيدان) في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربيّة) حينما تحدّث عن الشيعة فقال ما خلاصته: (الشيعة طائفة صغيرة لم تترك أثراً يُذكر، وليس لها وجود في الوقت الحاضر) فدفع هذا القول الشيخ آقا بزرك ورفيقيه في العلم السيّد حسن الصدر والشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء أن يتعاهدوا ويأخذ كلّ واحد منهم علىٰ عاتقه بيان جانب من جوانب الثقافة الشيعيّة الفنّيّة والتعريف بها. وقد تقرّر أن يبحث العلّامة السيّد حسن الصدر في الآثار العلميّة الشيعيّة، وبيان فضل الشيعة، وإسهامهم في تأسيس علوم الإسلام، وظهرت ثمرة بحثه في كتابه (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) الذي طبع بمساعدة الشيخ نفسه عام ١٣٧٠هـ، أمّا العلّامة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء فقد تقرّر أن يكتب نقداً لكتاب جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربيّة) ويكشف عن كلّ أخطائه فيه، وقد

وقد طبع الكتاب ضمن موسوعة **طبقات أعلام الشيعة** وكان نصيب القرن الحادي عشر هو الجزء الثامن من هذه الموسوعة، وقد سماه: **الروضة النضرة في علماء المئة الحادية عشرة** كما كتبه بخطّه على ظهر النسخة الأصلية من الكتاب[1].

وهذه الأجزاء التي ضمّتها طبقات الأعلام لا تشتمل إلّا على فهرس صغير لأسماء بعض من عثر عليهم المؤلّف عندما كان مشغولاً بتأليفه موسوعته: **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، ولقرب عهد القرن الحادي عشر فقد كان اطّلاع المؤلّف عن رجاله في إيران خاصة أكثر من سوابقه فزاد حجم هذا المجلّد بالنسبة إلى ما قبله. وأمّا علماء الشيعة في الهند وما والاها فليس فيه ذكر عنهم مع الأسف.

وقد رتّب هذا الجزء كسوابقه على حروف المعجم في أسماء المترجمين ثمّ أشهر ألقابهم، وقد حُلّت مشكلة المعروفين بالكنى بغضّ النظر عن كلمات (الأب) و(الابن) و(الأم)، فأورد ابن حسام في الحاء وأبو البركات وأبو القاسم في الباء والقاف.

وأمّا الأسماء المركّبة التي زاد انتشارها في القرن الحادي عشر عمّا قبله

نقّد هذه المهمّة، وكتب نقداً علمياً جامعاً للكتاب بمجلّداته الأربعة وطبع ضمن كتابه المراجعات الريحانيّة، وأمّا الشيخ آقا بزرك فقد تعهّد أن يكتب فهرساً يجمع فيه أسماء كلّ مؤلّفات الشيعة، انظر: عبد الرحيم محمّد عليّ: شيخ الباحثين آقا بزرك الطهرانيّ حياته وآثاره، (مطبعة النعمان، ط١، النجف الأشرف١٣٩٠هـ): ٢٩ ـ ٣٠.

(١) الروضة النضرة: ١.

فما كان منها مركّباً من (محمّد) مع أحد ألقاب الأئمّة عليهم السلام فقد افترض المؤلّف رحمه الله ذلك اللّقب علماً للمترجم له وجعل (محمّد) لقباً مقدّساً لكلّ مُسْلمٍ فأورد (محمّد صادق) في الصاد و(محمّد كاظم) في الكاف مثلاً، ولعلّ ذلك لكثرة مثل هذا التركيب.

لقد استندت معظم الأحكام والتوصيفات التي كان يطلقها الطهراني في كتابه حول أحوال الشخصيّات التي تناولها ممّا يستنبطه من آثارهم الشخصيّة المخطوطة، ثمّ من التواريخ العامّة المخطوطة القليلة الوجود، مثل: **أمل الآمل** و**رياض العلماء**، وذلك قبل طبعهما، وقليلاً ما كان ينقل عن المطبوعات.

٢) طريقة معالجته للموضوع:

يتّبع الطهراني طريقة معيّنة في معالجته سير من يترجم لهم، فهو يذكر اسم العالم ونسبه وأحياناً عمل الوالد، وفي بعض الحالات تاريخ ومكان الولادة، وأسماء الأقارب المرموقين من أهل العلم والرياسة، ثمّ يتطرّق إلىٰ من حضر العالمُ لدروسهم ومن أجازه منهم، وما هي الكتب التي درسها والوظائف التي تولّاها، ثمّ يذكر أهمّ إنتاج العالم الأدبي والكتب التي كتبها والدواوين، وأحياناً يذكر أبرز آراءه، وشيئاً عن علاقته بالسلطة، ثمّ يتطرّق إلىٰ ذكر آرائه وبعض المعلومات العامّة من أحواله الشخصية ووضعه المالي وأسفاره والعلوم التي برع بها، وأقوال العلماء فيه، ثمّ أبناءه وتلامذته الذين

اشتهروا من بعده ومن ترجم له منهم، ثمّ ينتهي إلىٰ تحديد مكان وتاريخ الوفاة وسببها، خصوصاً في حالات القتل والاغتيال.

لقد أخذتُ كلّ هذه المواضيع بعين الاعتبار ودوّنتُ معلوماتها ثمّ اخترت منهم من جاور أو ولد وعاش أو توفّي في أرض الحرمين لإعطاء معلومات عن عدّة مواضيع مرتبطة بصلب فكرة البحث.

٣) حياة المؤلّف:

مؤلّف كتاب **الروضة النضرة** هو الشيخ محمّد محسن الشريف المدعوّ بآقا بزرك ابن الحاجّ عليّ بن محمّد رضا ابن الحاج محمّد محسن الطهرانيّ[١].

ـ ولد في ١١ ربيع الأوّل ١٢٩٣هـ (٦ ابريل ١٨٧٦م) في مدينة طهران وسط عائلة معروفة بالتديّن والتقوىٰ.

ـ كان أبوه من التجّار الأفاضل المعروفين بالالتزام والتديّن، ألّف كتاباً أرّخ فيه الحوادث التي رافقت حركة تحريم التنباك، أمّا جدّه، فهو الحاج محسن من التجّار البارزين الذين لهم الفضل في تأسيس أوّل مطبعة في إيران.

ـ بدأ في طهران بدراسة العلوم الدينية وعمره عشر سنوات، وظلّ مشغولاً بالدراسة في طهران مدّة اثنتي عشرة سنة قضاها عند الأساتذة

---

(١) علىٰ هامش الذريعة: ٥٩٨.

المعروفين، من أمثال: الشيخ محمّد حسين الخراساني، والميرزا محمود القمّي، والشيخ علي نوري الإيلكاني، والسيّد عبد الكريم اللاهيجي، وغيرهم.

ـ هاجر إلىٰ النجف الأشرف عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) لإكمال دراسته الحوزوية عند مراجعها العظام آنذاك، وعاش في النجف الأشرف حوالي أربع عشرة سنة.

ـ سافر إلىٰ سامرّاء المقدّسة والتحق بحوزتها العلمية للاستفادة من دروس علمائها الأعلام، وبقي هناك مدّة أربع وعشرين سنة.

ـ في عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) عاد إلىٰ مدينة النجف الأشرف وبقي فيها مشغولاً في البحث والتصنيف إلىٰ آخر لحظة من عمره الشريف.

ـ وخلال المدّة التي قضاها بين حوزتي النجف الأشرف وسامرّاء المقدّسة، درس علىٰ يد كثير من الأساتذه المشهورين، نذكر بعضاً منهم: الميرزا حسين النوري، السيّد مرتضىٰ الكشميري، الشيخ محمّد طه نجف، الميرزا حسين خليل، الآخوند الخراساني، السيّد محمّد كاظم اليزدي، الميرزا محمّد تقي الشيرازي، الملّا فتح الله الإصفهاني، الشيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، وغيرهم.

ـ حاز الطهراني علىٰ إجازة بالرواية ونقل الحديث من كبار علماء الشيعة آنذاك، منهم: السيّد محمّد علي الشاه عبد العظيمي، والشيخ علي الخاقاني، والشيخ محمّد صالح آل طعّان البحراني، والشيخ موسىٰ

الكرمانشاهي ، والسيّد أبي تراب الخونساري ، والسيّد حسن الصدر **صاحب كتاب تأسيس الشيعة** ، وغيرهم .

وله إجازة بالرواية من مشاهير علماء العامّة كذلك ، منهم : الشيخ محمّد علي الأزهري المعروف بـ (الشيخ علي) ، وهو من علماء المذهب المالكي ، والشيخ عبد الوهّاب الشافعي ، والشيخ إبراهيم الحمدي من علماء المدينة المنوّرة ، والشيخ عبد القادر الطرابلسي من مدرّسي الحرم النبوي الشريف ، والشيخ عبد الرحمن الحنفي من مدرّسي الجامع الأزهر .

وقد حصل منه كثير من علماء الشيعة البارزين علىٰ إجازة في رواية الحديث ، نذكر بعضاً منهم ، وهم : آية الله السيّد حسين البروجردي ، والسيّد عبد الحسين شرف الدين ، والعلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني **صاحب كتاب الغدير** ، والشيخ عبد الهادي الفضلي ، والسيّد محمّد حسين الجلالي وغيرهم .

ـ وللشيخ الطهراني خمسة أبناء وأربع بنات ، فالذكور هم :

١ ـ الدكتور محمّد رضا ، وقد قتل في سنة ١٣٥٤هـ أو ١٣٥٥هـ (الشمسية) أيّام الحكومة العسكرية التي شكّلت في طهران قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران .

٢ ـ محمّد باقر المنزوي : توفّي عام ١٣٤٣هـ ، وقد حزن عليه الشيخ آقا بزرك وتأثّر تأثّراً شديداً ، ورثاه في قصيدة شعرية .

٣ ـ الدكتور علي نقي المنزوي وأحمد المنزوي : تمّ بإشرافهما طباعة

ونشر كتاب الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة.

٤ ـ الأستاذ محمّد تقي المنزوي.

ـ انتقل آقا بزرك إلىٰ رحمة الله بتاريخ ١٣ ذي الحجة ١٣٨٩هـ (٢٠ فبراير ١٩٧٠م) بعد أن قضىٰ ستّاً وتسعين سنة من عمره الشريف بالسعي الحثيث لخدمة الإسلام العزيز، وقام بتغسيله آية الله المدني، وشيّع تشييعاً مهيباً، وصلّىٰ علىٰ جسده الطاهر آية الله العظمىٰ السيّد أبوالقاسم الخوئي، ولشدّة تعلّقه بالكتب أوصىٰ بدفنه في مكتبتة التي أوقفها لخدمة المسلمين، وذلك في النجف الأشرف، وقد أرّخ الشاعر السيّد موسىٰ الكاظمي الهندي وفاته بهذا البيت من الشعر:

كان اسمه تاريخه (آقا بزرك محسنٌ) (١٣٨٩هـ)

٤) آثاره العلمية:

كان الشيخ الطهراني يمتلك مكتبة كبيرة تحتوي علىٰ مجموعة كبيرة من الكتب والمخطوطات القيّمة، وقد أوقفها لخدمة عامّة المسلمين، وقد قام بتأليف أكثر من مئة مؤلّف في مختلف المجالات العلمية، نأتي علىٰ ذكر أبرزها:

١ ـ **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة**: قام بتأليفه ردًّا علىٰ ما أثاره الكاتب جرجي زيدان في كتابه **تاريخ آداب اللغة العربية** من شبهات حول الشيعة

ومذهب التشيّع، ومن أبرز تلك الشبهات أن ليس للشيعة دور في بناء الفكر والثقافة الإسلامية، وقد ذكر الشيخ في هذا الكتاب أربعة وخمسين ألفاً وتسعمئة وخمسة وثلاثين (٥٤٩٣٥) مؤلّفاً لعلماء الشيعة في مختلف العلوم الإسلامية، وقد تجشّم في سبيل إنجاز هذه الموسوعة **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة** كثيراً من صعاب السفر والتنقّل بين العراق وإيران وسورية وفلسطين ومصر وبلاد الحجاز، لغرض تتبّع الفهارس التي أوردت أسماء تلك الكتب، وقد طبع هذا الكتاب عدّة مرّات في مدينة النجف الأشرف وطهران في خمسة وعشرين مجلّداً.

٢ ـ **طبقات أعلام الشيعة**: تناول ﷺ في هذا الكتاب ذكر وتعداد علماء الشيعة من القرن الرابع إلىٰ القرن الرابع عشر الهجري، ألّفه بعد الانتهاء من كتاب **الذريعة**.

٣ ـ **حياة الشيخ الطوسي**: طبع علىٰ شكل مقدّمة لكتاب **تفسير التبيان**، وقد ترجم إلىٰ اللغة الفارسية.

٤ ـ **هديّة الرازي إلىٰ المجدّد الشيرازي**: وكتب هذا الكتاب في شرح حياة المجدّد الميرزا حسن الشيرازي الكبير (مطبوع ومترجم إلىٰ اللغة الفارسية).

٥ ـ **مصفىٰ المقال في مصنّفي علم الرجال**: ألّفه في شرح أحوال ستّ مئة عالم وكاتب، وردت أسماؤهم في كتب الرجال (طبع في إيران عام ١٣٨٣هـ).

٦ ـ **المشيخة** : خلاصة لكتاب مصفىٰ المقال .

٧ ـ **النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف** : (مخطوط) .

٨ ـ **توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد** : حول تاريخ المذهب الشيعي ، بالإضافة إلىٰ بحوث حول الإجتهاد في مذهب الشيعة ، ونفي الإدّعاءات القائلة بحصر الإجتهاد في المذاهب الأربعة فقط .

٩ ـ **تفنيد قول العوام بقدم الكلام** : كتاب عقائدي يبحث في نفي قدم كلام الله ، ألّفه بناءاً علىٰ طلب أحد علماء الموصل في عام ١٣٥٩هـ (مخطوط) .

١٠ ـ **ضياء المفازات في طرق مشايخ الإجازات** : كتبه بشكل يشبه هيئة شجرة (مخطوط) .

١١ ـ **إجازات الرواية والوراثة في القرون الأخيرة الثلاثة** : (مخطوط) .

١٢ ـ **مستدرك كشف الظنون** : (مطبوع في طهران سنة ١٣٨٧هـ) .

١٣ ـ **تعريف الأنام في ترجمة المدنية والإسلام** : حول عدم التعارض بين الدين والمدنية الحاضرة ، والكتاب مترجم إلىٰ اللغة الفارسية بعنوان : **المدنية والإسلام** .

١٤ ـ **تقريرات دروس الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الإصفهاني** في الفقه والأصول ، بالإضافة إلىٰ عشرات المؤلّفات الأخرىٰ .

١٥ ـ كشكول الطهراني: طبع مرّتين، في إيران عن مجلس الشورىٰ، وطبعة أخرىٰ صدرت بإعداد محمّد علي الحسيني الجلالي.

وعلىٰ الرغم من كثرة انشغالاته بالتأليف والتصنيف، كان الشيخ آقا بزرك الطهراني﵀ يتمتّع بقريحة شعرية جيّدة، وقد كتب منظومة شعرية عقائدية نذكر منها هذين البيتين:

الحمد للربّ لا من سواه ... لا يستحقّ المدح إلا الله

يا ربّنا صلّ علىٰ المختار ... محمّد وآله الأطهار

وقد تحمّل الشيخ الطهراني الكثير من أجل تأليف كتاب **الذريعة**، وأقلّ ذلك كلام بعضهم علىٰ تأليفه هذا، فقد قال الشيخ محمّد حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) في كتابه معارف الرجال: «... وقد زرته حينما ورد النجف، ولا أنسىٰ أنّها كانت يوم الثلاثاء ٢٧ جمادىٰ الثانية سنة ١٣٥٤هـ(٢٦ سبتمبر ١٩٣٥م) في دار الشاعر الأديب السيّد باقر الهنديّ في محلّة الحويش، وهو إذ ذاك رجلٌ خبير، عارف متتبّع بحّاثة، متضلّعٌ في الأدب، قويّ العضلات، لا يكلُّ من الكتابة ولا يملّ، منقّباً عن آثار العلماء والمؤلِّفين من علماء الشيعة الإمامية ومؤلّفيهم بعنوان موجز مرتّب علىٰ حروف الهجاء، وأراني شيئاً من مؤلّفاته المخطوطة، وحدّثني البعض من أصحابه بقوله: (لو أنّ الشيخ المترجم له بذل جهده هذا في علمي الفقه والأصول لكان فقيهاً حقّاً وعالماً محقّاً)، وأنا لا أقول بهذه المقالة بل أقدِّر له جهوده واحترم مقامه في

هذا السبيل السامي»[١].

وأمّا عن همّته في التأليف، فقد كان ذا عزم وصبر وإصرار غريب، وينقل المحقّق أحمد مجيد الحلّي عن العلّامة المحقّق السيّد محمّد مهديّ الموسويّ الخرسان قوله: «أنّه كلّما وجدتم في كتاب **الذريعة** ذكراً لأيّة نسخة من مكتبة آل الخرسان فقصّته أنّه كان الشيخ الطهرانيّ ﷺ يأتي من سامرّاء إلىٰ النجف وينزل عندنا ويصعد لمكتبتنا ويسجّل منها لكتابه الذريعة، وكانت مهمّتي أن أملأ له (الكازة)[٢] نفطاً وقت المغرب لعدم وجود الكهرباء حينها وأصعد بها له، وكان من عادته أن لا يتعشّىٰ، وتنفد الكازة من النفط في منتصف الليل مرّة أخرىٰ فأملأها ثانية فتنفد إلىٰ الفجر، فيخرج إلىٰ الحرم العلويّ للصلاة والزيارة، وبعدها يرجع إلىٰ الدار فيفطر بالقليل من الطعام ويهجع هنيهة، ثمّ يباشر الكتابة مرّة أخرىٰ»[٣].

ولم يترك الطهراني الكتابة والتأليف إلىٰ آخر عمره، فكثيراً ما قرأ بعضنا تحت مقدّمات ما يكتبه عبارة: «كتبه بيده المرتعشة في مكتبته الجاني الفاني الآقا بزرك الطهرانيّ»، فقد عاش هذا الشيخ خمساً وتسعين سنة، وكانت يده في آخر سنوات عمره الشريف ترتعش، وكان من أجل أن يكتب كتبه ومقالاته يشدُّ القلم بيده لكي لا يسقط منها، وهو يكتب ولا يتوقّف عن

---

(١) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ١٨٨/٢، الرقم ٣٠٢.

(٢) هي باللهجة النجفيّة السراج النفطيّ الذي يُقال له بالعاميّة أيضاً: (اللالة).

(٣) عين علىٰ الذريعة: ٤٦٨.

ذلك.

وينقل أنه كان يمسك يمينه بيساره ويكتب لكي لا ترتعش، وقد شاهده العلّامة الشيخ باقر شريف القرشي (ت١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) والقلم مشدودٌ بإصبعه وهو واضع يده تحت حنكه ليمسكها من الرعشة في الكتابة[١].

وكان لا يشغله شيء عن عمله في تأليف **الذريعة**، فقد قال ﷺ في تأبينه للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء: «... إخواني الكرام: لا أخال أنّ أحداً من النجفيّين وغيرهم لا يعلم بأنّي لم أشترك في أيّ حفل من المحافل والحفلات التي تقام في سائر المناسبات والحوادث العامّة والخاصّة، ولم أقف خطيباً في أيّ نادٍ من الأندية علميّة كانت أم أدبيّة، وذلك لعجزي عن أمثال ذلك أوّلا، ولاشتغالي بما وقفت نفسي عليه وكرّست حياتي لأجله ثانياً، غير أنّ هول المصاب وعظم الخطب أوقفاني هذا الموقف»[٢].

هذا مع قلّة في ذات اليد وشظف العيش، فقد رأيت في مكتبته بأمّ عيني بعض مسوّدات كتابه **الذريعة** وقد كتب بعضها علىٰ أكياس السكّر والشاي السمراء القديمة التي كانت متداولة حينذاك، وبعضها علىٰ حواشي الأوراق المطبوعة والفائضة من كتابه **الذريعة والطبقات**[٣].

---

(١) مرجع سابق: ٤٦٨.

(٢) شيخ آقا بزرك تهراني ؟؟؟

(٣) مرجع سابق: ٤٦٨.

وقد حظي كتابه **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة** بشهرة واسعة وتلقّفته الساحة العلمية بتعطّش وافتتان، وعني به الباحثون والعلماء حتّىٰ لقد كُتبت حوله عشرات الكتب والمقالات بين استدراك واختصار وتصحيح، وقد أحصىٰ محمّد حسين النجفي[1] في مقالة نشرها في مجلّة ميراث شهاب (ع٧١، ٢٢٥ـ٢٤٣) بعنوان (**در برتو الذريعة**)[2] ما نشر حول هذا الكتاب فبلغت ٦٤ عملاً.

يتحدّث المعماري العالمي محمّد مكّية (ت ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م) عن ملابسات تأسيس مشروع جامعة الكوفة كمشروع علمي ريادي بعيد عن وصاية الحكومة المركزية في بغداد، ويشير إلىٰ أنّ من أوائل من بكّروا في تأييد المشروع رئيس المجمع العلمي العراقي محمّد رضا الشبيبي والسيّد محسن الحكيم والشيخ آقا بزرك الطهراني، «كذلك التقيت بالشيخ آقا بزرك الطهراني، وهو من رجال العلم المشهورين في الحوزات الدينية الشيعية، وقد استقبلنا بترحاب ومودّة، وأتذكّر أنّه صعد بجسمه النحيل وما يحمل علىٰ كاهله من عقود طويلة السلّم إلىٰ رفوف مكتبته العامرة ليهدينا منها كتاباً من كتبه لعلّه **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة**. وفي إحدىٰ زياراتنا إلىٰ النجف، أنا والدكتور علي الوردي زرنا السيّد الخوئي وجرىٰ حوار معه حول مشروع

---

(١) من المحقّقين الشباب النابهين والملتحقين بطلب العلوم الدينية في مدينة قم المقدّسة، له عدد من المقالات المنشورة في بعض المجلّات المعنية بالتراث الإمامي.

(٢) وتعني: «في ظلال الذريعة».

الجامعة، وكان متواضعاً تواضع العلماء، وعمد إلىٰ محاورة علي الوردي فيما يكتبه في علم الاجتماع، وفي تلك الزيارة سمعنا من الخوئي تبريكاته للمشروع»[١].

يقول مكّية: «لفت انتباهي مكتبة العلّامة الكبير الشيخ آقا بزرك الطهراني العامرة، التي احتوت الآلاف المؤلّفة من الكتب، فمن صفحات كتبها ومخطوطاتها ألّف موسوعتيه المعروفتين **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة**، وكتاب **طبقات أعلام الشيعة**. وقد سلف أن ذكرت تحمّسه وانفعاله فرحاً بنا أن صعد السلّم رغم تقدّمه بالسنّ ونحول بدنه إلىٰ رفوف الكتب ليهدينا منها، مع أنّه يعرف بأنّنا لم نكن من أهل الالتزام الديني، وبصفتنا علمانيّين، لكن كان اللقاء والتفاهم والتعاطف بيننا وبينه حميميّاً. فما توافر من طيبة وحسن نيّات وجدّية في مشروع علمي يكفي أن نكون بمفهوم هذا العالم الجليل، الأقرب إليه»[٢].

وينقل الخطيب السيّد حسن الكشميري[٣] الذي قرأ في مجلس الشيخ آقا بزرك الطهراني ما يزيد علىٰ ستّ سنوات متواصلة، حيث كان لديه مجلس أسبوعي في النجف الأشرف يقام صباح كلّ يوم خميس من كلّ أسبوع. يقول: «كان الشيخ آقا بزرك في غاية التواضع بحيث أنّ من لا يعرفه

---

(١) خواطر السنين... سيرة معماري ويوميّات محلّة بغدادية: ٢٢٤.

(٢) خواطر السنين: ٢٢٦.

(٣) إذاعة طهران، برنامج (مع الصادقين). وقد طبع مؤخّراً.

وهو يمشي في الطريق لايميّزه عن أيّ طالب علم مبتدي، كان عادّيّاً في حركاته، مترسّلاً في تصرّفاته، وقد كان يشعر بالاستئناس الغامر عندما كان يجلس في مكتبته تحوطه كتبه وأوراقه من كلّ ناحية، وما دخلت عليه بيته إلّا ووجدته غارقاً بين كتبه وأوراقه وهو مُنحَنٍ وهو يكتب بأصابع مرتعشة. كان لا يَمَلُّ من الكتابة والقلم، وقد أوصىٰ أن يُحوّل بيته الذي كان لا يملك سواه إلىٰ مكتبة عامّة، كما أوقف مكتبته الشخصية للمطالعة وأهل العلم».

ومن الصفات التي كنت ألاحظها في سلوك هذا المربّي الكبير، يقول الكشميري: «أنّه كان لا يسمح بأن يقبّل أَحَدٌ يَدَه، حتّىٰ أولاده وأسباطه، وفي إحدىٰ المرّات وفيما كنّا نسير معاً لزيارة الحرم العلوي المطهّر، سألته: مولاي لما كُلُّ هذا الإصرار علىٰ رفضكم تقبيل اليد، فحبس أنفاسه وأجاب بهدوء: «أتعرفون السيّد صادق، قلت نعم أعرفه، هو رجل من كبار العلماء والشعراء ومن فضلاء الحوزة العلمية، فقال لي: كان السيّد صادق أستاذي وقد تتلمذت عليه وتأثّرت بأخلاقه، وكان من الأساتذة المحبوبين عندي، وكان يرفض أن يُقبّل أَحَدٌ يده، فسألته ذات السؤال الذي سألتني إيّاه، فأجابني ببيتي شعر:

يد تُقبّل لايُدرىٰ بما صَنَعَت ولو دروا أبدلوها القطع بالقبلِ
ليست لها غاية ترجو النجاة بها إلا ولاء أمير المؤمنين علي»

يقول السيّد الكشميري: «كنت أشاهده حينما كان يزور مقام أمير المؤمنين، كان يقرأ الزيارة بكلّ أعضائه، وكان حينما يقف عند الضريح المقدّس

يرتجف بخشوع يقارب الانهيار شعوراً منه بعظمة الإمام وحبا فيه.

وقد دفن بعد وفاته في منزله طبقاً لوصيّته، والذي أوقفه كمكتبة عامّة.

لم يترك من حطام الدنيا درهماً واحداً، وعاش في النجف أكثر من نصف قرن عيش الكفاف، وكان دائماً مديناً للبقّال وصاحب المكتبة، وأتذكّر أنّه بعد وفاته جمع أثاث بيته حينها ولم يساوي إلا سبعة دنانير عراقية، أي ما يعادل وقتها ٢١ دولار تقريباً، هذا كلّ ماتركه هذا الرجل العظيم من مال».

ثانياً : التواجد الإمامي في بلاد الحرمين

تعدّ (المدينة المنوّرة) في العصر الإسلامي الأوّل بمثابة المدرسة الأولىٰ للمسلمين ، فقد ظهرت أولىٰ ملامح الحياة العلمية للمسلمين في هذه المدينة التي انطلقت منها المسيرة المظفّرة لرسول الله ﷺ ، وفي عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكاملت مع ظهور المجتمع الإسلامي في (المدينة) ، واستمرّت إلىٰ حياة الإمام الصادق عليه السلام ، «وكانت المدينة المنوّرة الوطن الأوّل لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فكان من فقهاء الصحابة بعد الإمام أمير المؤمنين والزهراء والحسنين عليهم السلام : ابن عبّاس حبر الأمّة وفقيهها ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو رافع إبراهيم مولىٰ رسول الله ﷺ»[١] .

ومن التابعين تولّىٰ جمع كثير من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حفظ السنّة النبوية وتداولوها فيما بينهم ، ونقلوها إلىٰ الأجيال التي تليهم بأمانة ، حتّىٰ قال الذهبي في **ميزان الاعتدال** : «فهذا ـ أي التشيّع ـ كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلو ردّ حديث هؤلاء ـ أي الشيعة ـ لذهبت جملة الآثار النبوية»[٢] .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام أوّل من صنّف في الفقه ، ودوّن الحديث

---

(١) مقدّمة الشيخ محمّد مهدي الآصفي لكتاب (رياض المسائل) ١١/١ .

(٢) ميزان الاعتدال ٥/١ .

النبوي، ولم يوافق عمر بن الخطّاب علىٰ رأيه؛ «فعن السيوطي في تدريب الراوي قال: كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأباحتها طائفة وفعلوها: منهم: علي وابنه الحسن»[١]، فكتب **الجامعة** وهي من إملاء رسول الله ﷺ وخطّ علي عليه السلام، وكان يبلغ سبعين ذراعاً، وقد تواتر نقله في أحاديث الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام[٢]. وكان لسلمان مدوّنة في الحديث كما يقول ابن شهرآشوب. وعلي بن أبي رافع مولىٰ رسول الله ﷺ كان من فقهاء الشيعة وخواصّ أمير المؤمنين عليه السلام. قال النجاشي: «وهو تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون الفقه كالوضوء والصلاة وسائر الأبواب، وكانوا يعظّمون هذا الكتاب»[٣].

ومنهم: سعيد بن المسيّب ـ وهو أحد الفقهاء الستّة ـ والقاسم بن محمّد بن أبي بكر، قال أبو أيّوب: ما رأيت أفضل منه، وفي كتاب الكافي عن يحيىٰ بن جرير قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: كان سعيد بن المسيّب والقاسم بن محمّد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام[٤].

وبلغ هذا الازدهار الفكري غايته في عهد الإمام الصادق عليه السلام، فقد

---

(١) تدريب الراوي ٢/٦٥.

(٢) أعيان الشيعة ٢٩٠/١.

(٣) رجال النجاشي: ٥.

(٤) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٩٩.

ازدهرت المدينة المنوّرة في عصر الإمام، وزخرت بطلّاب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية، وانتظمت فيها حلقات الدرس، وكان بيته جامعة إسلامية يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث من مختلف الطبقات ينتهلون موارد علمه. قال ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام: نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروىٰ عنه الأئمّة الأكابر كيحيىٰ بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانيّين وأبي حنيفة وشعبة وأيّوب السجستاني[١].

من هنا «كانت المدينة المنوّرة في عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام مدرسة للفقه الشيعي، ومركزاً كبيراً من مراكز الإشعاع العقلي في العالم الإسلامي. ويطول بنا الحديث لو أردنا أن نحصي عدد الفقهاء من الشيعة في هذه الفترة وما تركوا من آثار، ويكفي الباحث أن يرجع إلىٰ كتب أعيان الشيعة، ورجال النجاشي، والكشّي، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ليعرف مدىٰ الأثر الذي تركه فقهاء الشيعة في هذه الفترة التي تكاد تبلغ قرناً ونصف قرن من تاريخ الإسلام في الدراسة الفقهية، والمحافظة علىٰ السنّة النبوية»[٢].

ويتواجد حتّىٰ اليوم في (المدينة المنوّرة) أربع جماعات شيعية:

* **النخاولة**: ومفردها نخلي، وهم من القبائل العربية، وقد تداخل

---

(١) الصواعق المحرقة علىٰ أهل الرفض والضلال والزندقة: ١٩٩.

(٢) رياض المسائل ١٤/١.

معهم عدد من أبناء القبائل الأخرىٰ طلباً للحماية قبل نحو قرنين من الزمان مثل (العصارىٰ) الذين ينتمون إلىٰ عنزة (بني أعصر). والنخاولة هم أكثر الشيعة عدداً وانتشاراً، وقد تعرّضوا للاضطهاد والأذىٰ بسبب التحامل الطائفي.

* **الأشراف**: ويأتون بعد النخاولة في العدد، وهم سادة بني هاشم، كما أنهم ينتشرون في مناطق أخرىٰ غير المدينة المنوّرة، مثل: مكّة المكرّمة وجدّة والطائف والمدن الجنوبية.

قال صاحب **كنز الأنساب**: إنّ من بين من ينتمي إلىٰ هذه القبيلة (الأشراف) في المنطقتين الغربية والجنوبية الحيادرة، والنسبة إليهم حيدرية، وهم بطن من بني جعفر الصادق يعرفون ببني أيمن. وآل إبراهيم ويسكنون ينبع النخل، وآل حسين مع قبيلة الظفير سادة حسينيّون.

وقد حكم الأشراف المناطق المقدّسة سنوات طويلة في القرون الماضية وحتّىٰ وقت قريب[1].

* **قبائل حرب وجهينة (الحروب)**: حيث اعتنق بعض أفرعها المذهب الشيعي (فرع بني علي/ الفريد، وغيرهما). وقد أشار أحد الكتّاب إلىٰ انتشار المذهب الشيعي بين قبائل حرب وجهينة.

* **المشاهدة**: وهم من أصول عربية ويتواجدون في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، إلّا أنّهم أقلّ الفئات عدداً، ومن آل المشهدي الكاتب

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٢٠/٢١٠.

والروائي محمّد بن عيسىٰ المشهدي[١].

وكانت إمارة المدينة المنوّرة للحسينيّين كما كانت إمارة مكّة للحسنيّين، لكن أمراء مكّة تظاهروا بالتسنّن فدام ملكهم إلىٰ الربع الأوّل من القرن العشرين وكان آخرهم الملك حسين وابنه علي، وأمراء المدينة تظاهروا بالتشيّع فزال ملكهم للعصبية. ولم يذكر المؤرّخون من أحوال أمراء المدينة إلّا نتفاً يسيرة وربّما كان للعصبية مدخل في ذلك، ولم يذكرهم صاحب **مجالس المؤمنين** مع ذكره لكثير ممّن هم دونهم.

وفي **صبح الأعشىٰ**: «وإمرتها [أي المدينة] الآن سنة ٧٩٩هـ (١٣٩٧م) متداولة بين بني عطية وبين بني جماز وهم جميعاً علىٰ مذهب الإمامية». ويفهم من **صبح الأعشىٰ** أنّ أوّل من ولّي إمرة المدينة مستقلّاً بها طاهر أبو الحسين بن محمد الملقّب بمسلم بن طاهر بن الحسن بن أبي القاسم طاهر ابن يحيىٰ بن الحسن بن جعفر حجّة الله ابن أبي جعفر عبدالله بن الحسين الأصغر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وكما كانت (المدينة المنوّرة) التي شهدت ميلاد المجتمع الإسلامي الأوّل تزخر بالوجود الشيعي كذلك كانت (مكّة المكرّمة) المدينة التي تهفو لها قلوب المسلمين، وفي أفيائها الطاهرة تسكن أقدس البقاع وأطهر الأمكنة، وفي موسم الحجّ تتهافت إليهما جموع المسلمين القاصدين الحجّ.

ولقد ضمّت مكّة والقرىٰ المحيطة بها أعداد من الشيعة، ويظهر ممّا

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ٢١٠/٢٠.

عن **الجامع اللطيف** عند ذكره ولاة مكّة كثرة الشيعة فيها في القرن السادس الهجري، فإنّه ذكر أنّ ممّن ولّي مكّة سيف الإسلام طغتكين أخ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب سنة ٥٨١هـ(١١٨٥م) وأنّه قدم مكّة هذه السنة ومنع الأذان بـ(حيّ علىٰ خير العمل). ويظهر ممّا ذكره ابن حجر في أوّل **الصواعق** كثرتهم بها في القرن العاشر الهجري[١].

وكذلك فإنّ السيّد نور الدين علي العاملي أخو صاحب **المدارك** (ت١٠٦٨هـ) المتوفّىٰ في مكّة، «وقد كان ساكناً فيها، ولا يسكنها وهو العالم الشيعي الكبير إلّا لوجود شيعي فيها»[٢]. وهذا ما يفسّر بقاءه في مكّة أكثر من عشرين سنة[٣].

ويذكر السيّد محسن الأمين عنه: «وكانت في ذلك العصر الكلمة والغلبة بمكّة المكرّمة لعلماء الإمامية، وكانت الإمامة في المسجد الحرام لهم كما يدلّ عليه كلام ابن حجر في أوّل صواعقه، حيث ذكر أنّه التمس علىٰ أقرائها بمكّة حيث إنّ مجمع الروافض بها، وقال: «طَهّرَ الله البيت منهم». ويدلّ عليه أيضاً ما في **تكملة أمل الآمل** من أنّ عنده نسخة من كتاب **المحاسن** للبرقي في أحاديث أهل البيت عليهم السلام بخطّ الإمام بمقام إبراهيم الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام بمكّة المشرّفة السيّد الشريف عبد الله بن محمّد

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ١٣٧/٢١.

(٢) المرجع نفسه ١٣٧/٢١.

(٣) أمل الآمل ١٢٥/١.

ابن علي الحسيني الطبري فرغ من نسخها يوم الأحد المبارك من شهر جمادىٰ الأولىٰ من ١٠٤٤هـ (١٦٣٥م).

وذكره السيّد ضامن بن شدقم في كتابه وأثنىٰ عليه وقال: منشؤه في الشام ثمّ عطف عنان عزمه إلىٰ البيت الحرام، تشرّفنا برؤيته مراراً بمكّة المكرّمة سنة ١٠٦٨هـ»[١].

في المقابل، نستنتج ممّا ذكره زين العابدين بن نور الدين الحسيني الكاشاني من أعلام القرن الحادي عشر الهجري في **فرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام** ـ وقد كان مجاوراً مكّة ـ أنّ سلطنة الحرمين الشريفين كانت بيد «المخالفين»، أي من أهل السنّة والجماعة[٢]. وعندما تحدّث الحسيني عن (صفة المسجد الحرام) قال: «وأمّا الأمكنة المبتدعة لكلّ إمامٍ من الأئمّة الأربعة ولا حاجة إلىٰ ذكرها»[٣]، وفي ذلك إشارة إلىٰ أنّ أروقة الحرم المكّي كانت تشهد تدريساً لفقه المذاهب الأربعة بشكل رسمي ونظامي، أمّا حلقات التدريس طبقاً للمذهب الشيعي الإمامي فقد كانت علىٰ الأرجح تتمّ في نطاق ضيّق وبحذر شديد، ورغم ذلك فإنّ عدم تطرّق السيّد الحسيني إلىٰ حلقات الدرس الشرعي الإمامي ولو بإشارة خاطفة أمرٌ يسترعي الانتباه حقّاً. من هنا يمكن القول أنّ محاولة السيّد محسن الأمين إعطاء الوجود الإمامي في

---

(١) أعيان الشيعة ٢٨٩/٨.

(٢) فرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام: ٥٦.

(٣) فرحة الأنام: ٩٧.

الحجاز زخماً أكبر، والمبالغة في تقدير حجمه في بلاد الحرمين أمر يتّسم بعدم الدقّة، خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الفتن الطائفية التي اندلعت في بحر هذا القرن، فقد انتشرت بين سكّان مكّة في ذلك الحين إشاعة مفادها أنّ الشيعة لا يتمّ حجّهم في مذهبهم إلّا إذا لوّثوا الكعبة بالنجاسة، وقد صدّق الكثير من الناس هذه الإشاعة كما هي عادة الناس عند استفحال التعقّب الطائفي لديهم، وفي ٨ شوال ١٠٨٨هـ(٤ ديسمبر ١٦٧٧م) وقعت فتنة طائفية في مكّة المكرّمة من جرّاء تلك الإشاعة، ننقل فيما يلي وصفاً لتلك الحادثة كما رواها رجل من أهل مكّة شاهدها بنفسه، حيث قال ما نصّه:

«وفي سنة ثمان وثمانين وألف يوم الخميس ثامن شوّال منها وقع حادث غريب، وكارثة عجيبة، هو أنّه وقع في ليلته أن لوّث الحجر الأسود وباب الكعبة ومصلّىٰ الجمعة وأستار البيت الشريف بشيء يشبه العذرة في النتن والخبث، فصار كلّ من يريد تقبيل الحجر يتلوّث وجهه ويداه، ففزعت الناس من ذلك، وضجّت الأتراك واجتمعت، وغسل الحجر والباب والأستار بالماء، وبقي الأتراك والحجّاج والمجاورون في أمر عظيم، وكان إذ ذاك رجل من فضلاء الأروام يلقّب درس عام، فكان يرىٰ جماعة من الأرفاض بالمسجد الحرام، وينظر صلاتهم وسجودهم وحركاتهم عند البيت والمقام، فيحترق لذلك ويتأوّه، فلمّا وقع هذا الواقع قال: ليس هذا إلّا فعل هؤلاء الأرفاض اللئام، الذين يلازمون المسجد الحرام، وكان حينئذ مع قضاء الملك العلّام، السيّد محمّد مؤمن الرضوي قاعداً خلف المقام، يتلو كتاب الله ذي

الجلال والإكرام، فأتوا إليه، وأُخذت الختمة من يديه، وضُرب على رأسه، وسُحب حتّىٰ أخرج من باب المسجد المعروف بباب الزيادة فطرح خارج الباب، وضرب بالحجارة والكسارات حتّىٰ زهق ومات، وفي حال مسكهم إيّاه من المسجد كلّمهم فيه شخص شريف من السادة الرفاعية يسمّىٰ السيّد شمس الدين، فعدوا عليه وألحقوه به، فضرب حتّىٰ مات وجرّ، ثمّ أصابوا آخر فضربوه وأخرجوه وقتلوه، وعلىٰ من قبله طرحوه، ثمّ فعلوا ذلك برابع، ثمّ بخامس، ولقد رأيتهم مطروحين، وبقي بعضهم علىٰ بعض، الآتي والذاهب يوسعهم السبّ والركل، ولقد رأيت ذلك الشيء وتأمّلته فإذا هو ليس من القاذورات، وإنّما هو من أنواع الخضراوات، عجين بعدس ممخخ وأدهان معفّنات، فصار ريحه ريح النجاسات، وكان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليلة، ليلة الخميس ثامن الشهر المذكور، ولم يعلم الفاعل لذلك، وغلب بعض الظنون أنّ ذلك جعل عمداً وسيلة إلىٰ قتل أولئك، والله أعلم بالسرائر، وهو متولّي الباطن والظاهر»[1]. وقد تكرّرت هذه الأحداث المؤسفة في مكّة وأخذت بعضها طابعاً دمويّا وراح ضحيّتها عدد من علماء الإمامية في ظلّ موجة من الكراهية الطائفية أدّت بعضها إلىٰ طرد الشيعة نهائيّاً من مكّة[2].

ولعلّ في إشارة الحسيني الكاشاني، زين العابدين بن نور الدين في

---

(١) قصّة الأشراف وآل سعود: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) قصّة الأشراف وآل سعود: ٣٨.

كتابه **فرحة الأنام** من استياء شيخ الحرم المكّي من دور الكاشاني (مجتهد الرافضة)[١] في تأسيس الكعبة وإعادة إعمارها ما يعطي ظلالاً لطبيعة الجوّ المحتقن طائفيّاً وقتها.

وقد ذكر الكاشاني أسماء عدد من علماء الإمامية الذين ساهموا في إعادة إعمار بيت الله الحرام بعد سقوط أمطار غزيرة شتاء عام ١٠٣٩هـ (١٦٣٠م) حينما دخل سيل عظيم في المسجد الحرام وغمر الكعبة، وأحدث دماراً كبيراً في الحرم المكّي، كما خلّف خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، وهم: «محمّد الحسين، وسيّد أحمد بن محمّد معصوم[٢]، ومحمّد علي بن عاشور وأبوه، وحسن بن عبدالله السمناني المكّي، ودرويش حيدر الكشميري، وميرزا خان الكشميري، والحاج حسن علي الأردبيلي، والحاج معصوم بيك التبريزي، وحاجي محمّد شفيع التبريزي وولده إبراهيم بيك، والشيخ طائف رفيع السيّد، ولدي أبو جعفر، وإسماعيل ابن شهيد أوغلي، والشيخ عبد علي وعبدان للفقير هما: مفلح ونافع»[٣].

---

(١) فرحة الأنام: ٣٨.

(٢) والد السيّد علي خان المدني صاحب (سلافة العصر)، والسيّد أحمد كان تلميذاً للشيخ محمّد أمين الاسترابادي، وأنّ وفاته كانت في سنة ١٠٨٦ هـ، خاتمة مستدرك الوسائل ٢٤٤/١.

(٣) فرحة الأنام: ١٠٩ ـ ١١١.

ثالثاً : مظاهر النشاط العلمي في مكّة والمدينة

تعدّدت الأسباب والبواعث التي كانت تدفع علماء الأمصار من مختلف بقاع العالم الإسلامي إلىٰ اتّخاذ المدينتين المقدّستين : (مكّة المكرّمة) و(المدينة المنوّرة) مكاناً للسكن والإقامة الدائمة أو المؤقّتة ، وحيث إنّ الدراسة تستهدف بالبحث رصد مظاهر النشاط العلمي لعلماء الإمامية من الذين اتّخذوا من هاتين المدينتين مقرّاً لإقامتهم ، فإنّنا سنحاول هنا إبراز أهمّ هذه الأدوار العلمية التي نهضوا بها في بلاد الحرمين ، من خلال الاستشهاد بنماذج محدودة نرىٰ أنّها تصلح إلىٰ حدّ بعيد في الخروج باستنتاج قابل للتعميم وصولاً إلىٰ نتائج معيّنة في الموضوع .

١) المجاورة :

رغم اختلاف الدوافع وتباين الأهداف التي كانت تدفع علماء الإسلام علىٰ مرّ العصور إلىٰ الارتشاف الإيماني من ربوع أقدس البقاع وأطهرها في مكّة والمدينة ، إلّا أنّ المقطوع به أنّ هذه الفئة ساهمت بشكل كبير في إثراء الحركة العلمية ومدّها بأسباب النموّ والازدهار ، وكما كانت الأهداف تتباين ، كانت المدّة التي يرغب المسلم المتعطّش لقضائها مجاوراً بيت الله الحرام أو قبر النبي ﷺ طامحاً في التعرّض للنفحات القدسية المباركة تختلف بدورها ؛ فمن هؤلاء من ربط بقاءه بنهاية أداء النسك ، ومنهم من مكث فيها فترة من

الزمن راغباً بالجوار ومستمتعاً براحة البال، علىٰ أن يرحل منها بعد تحقيق الأهداف التي بقي من أجلها، بيد أنّ فئة ثالثة من أولئك القادمين قد راموا الاستقرار الدائم فيها ليختموا حياتهم الدنيا في أقدس البقاع وأطهرها. وعلىٰ الفئتين الأخيرتين أطلق لقب المجاورين.

وتزخر الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام من توجيهات حاثّة علىٰ استحباب زيارتهم عليهم السلام، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «بينما الحسين بن علي عليه السلام في حِجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال له: يا أبة ما لمن زارَك بعد موتك؟ فقال: يابنيّ من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنّة، ومن أتىٰ أخاك زائراً بعد موته فله الجنّة، ومن أتىٰ أخاك بعد موته فله الجنّة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنّة»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتىٰ مكّة حاجّاً ولم يزرني بالمدينة جفوته يوم القيامة؛ ومن زارني زائراً وجبت له شفاعتي؛ ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة، ومن مات في أحد الحرمين؛ مكّة أو المدينة لم يعرض إلىٰ الحساب؛ ومات مهاجراً إلىٰ الله، وحشر يوم القيامة

---

(١) كامل الزيارات: ٩.

(٢) كامل الزيارات: ١٠.

مع أصحاب بدر»[١].

وعن عليٍّ بن الحسين :عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليَّ في حياتي ، فإنّ لم تستطيعوا فابعثوا إليَّ بالسّلام فإنّه يبلغني»[٢].

ولعلّ هذا ما يفسّر ظاهرة ازدهار حواضر العلم في العالم الإسلامي عند الإمامية بالقرب من مراقد الأئمّة عليهم السلام في المدن المقدّسة : المدينة المنوّرة ، النجف الأشرف ، كربلاء المقدّسة ، قم المقدّسة ، وخراسان ، والكاظمية .

ولقد ذكرنا أبرز من جاور المدينتين المقدّسيتن مكّة والمدينة من علماء الإمامية منهم : محمّد الشدقمي المدني الحسيني وكان حافظاً للقرآن بالقرآءات السبع[٣] ، وحيدر بن علي بن نجم الدين الموسوي العاملي (ت ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٣م)[٤] ، والمير حسين القاضي[٥] ، وإبراهيم بن عبد الله الخطيب الإسترآبادي[٦] ، ونعمة الله بن علي بن أحمد الحسيني الحسني النسّابة[٧] المجاور للمدينة المنوّرة وآخرين .

---

(١) كامل الزيارات : ١١ .

(٢) كامل الزيارات : ١٢ .

(٣) الروضة النضرة : ٥٢٣ .

(٤) الروضة النضرة : ١٩٤ .

(٥) الروضة النضرة : ١٧٨ .

(٦) الروضة النضرة : ٣ .

(٧) الروضة النضرة : ٦١٩ .

٢) طلب العلم :

لعلّ من أبرز الدوافع التي كانت تحرّك علماء الإسلام من مختلف المذاهب الإسلامية ، ومنهم علماء الإمامية للهجرة إلىٰ (مكّة المكرّمة) و(المدينة المنوّرة) هو الهدف العلمي ، فقد كانت المدينتان المقدّستان تعجّان بنشاط علمي واسع ، كان فيه دور علماء الإمامية بارزاً ومؤثراً ، فهذا مصطفىٰ ابن محمّد التبريزي صاحب **تحفة القرّاء** و**تحفة الأبرار** تشرّف بزيارة العتبات ثلاث مرّات وللحجّ ثلاث مرّات ، وفي الحجّة الثانية قرأ بمكّة علىٰ إسماعيل القاري وقرأ في سائر أسفاره علىٰ جمعٍ من قرّاء العرب مدّة ثلاثين سنة ، وكتب في حجّه الثالث ١٠٦٧هـ **التحفة** بين الحرمين راجعاً عن الحجّ ، ولمّا حجّ ورجع إلىٰ إصفهان لازم خدمة مجتهد الزمان الآخوند الملّا محمّد الخراساني ، يراجع في مشكلاته ويأخذ منه أحكامه[١] .

وكان السيّد مرتضىٰ ابن المصطفىٰ التبريزي تملّك نسخة تّامّة من أوّل (الأُصول) إلىٰ آخر (الرّوضة) في **الكافي** ، وقرأ أكثره علىٰ شيخه الملّا محمّد مؤمن ابن الشاه قاسم السبزواري ، فكتب شيخه إجازة مفصّلة في آخره في ١٠٦٠هـ(١٦٥٠م) وذكر فيها من مشايخه محمّد الشهير بنصر المحدّث التوني والحسن بن المشغري الراويين عن الميرزا محمّد الرجالي الاسترابادي ، وقد قرأ عليه أيّام مجاورتهما لمكّة ، وثالثهما بدر الدين الحسيني العاملي المدرّس

---

(١) الروضة النضرة : ٥٦٥ ـ ٥٦٦

في الروضة الرضويّة والراوي عن البهائي[١].

وجاء في **مجموعة التذكارات** لبهاء الدين علي بن يونس الحسيني التفريشي التي كتبها في ١٠٢٤هـ (١٦١٥م) وقدّمها لأُستاذه محمّد السبط، فكتب له: «بسم الله والحمد لله. يقول فقير عفو الله محمّد بن الحسن العاملي إنّ السيّد السند ... ثمّ إنّي اشتغلت بما لابدّ منه من العلوم العقليّة والنقليّة علىٰ والدي جمال الدين الحسن ﷺ وبعد ذلك علىٰ شيخي السيّد شمس الدين محمّد ابن أبي الحسن... وبعد وفاتهما توجّهت إلىٰ مكّة أقمت نحواً من خمس سنين مشتغلاً في الحديث علىٰ الميرزا محمّد الاسترآبادي ... وفي أثنائها بما لابدّ منه من الأُصول على السيّد ... الأمير نصير الدين حسين ﷺ، مضافا إلىٰ ما لابدّ منه من العلوم علىٰ المولىٰ... محمّد أمين، وصرفتُ برهة في الاشتغال علىٰ بعض العامّة ... إلىٰ أن سهّل الله الوصول إلىٰ العتبات ... وصرتُ منتظماً في سلك أصحاب الإجازات تيمّناً»[٢].

وقد أجيز علي رضا ابن آقا جاني من الميرزا محمّد الاسترابادي الرجالي بمكّة بعد قراءته عليه أكثر كتاب **التهذيب**، فكتب شيخه له إجازة بخطّه صورتها وهي في آخر النسخة هكذا:

«بسم الله والحمد لله وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ. وبعد فقد ذاكر المولىٰ الفاضل الورع، خلاصة الأفاضل المتورّعين مولانا علي رضا وفّقه الله

---

(١) الروضة النضرة: ٥٥٩ ـ ٥٦٠.

(٢) الروضة النضرة: ٥٢٠.

لما يحبّ ويرضىٰ أكثر كتاب **تهذيب الأحكام** وبحث تفتيش وتحقيق وإتقان في مدّة من الزمان وكذلك جملة من بقيّة الكتب الأربعة المشهورة في هذا الزمان، فلمّا لم يساعده علىٰ إتمامها حوادث الأيّام أجزت له روايتها بطرقي المقرّرة وأعلاها ما نبّهت عليه في كتب الرجال وإنّما اكتفينا عن التفصيل بهذا الإجمال لضيق المجال وقرب الترحال، مشرطاً عليه الأخذ بطريق الاحتياط وملازمة الجادّة الموظّفة بين أُولي الفضل والكمال. كتب ذلك العبد الفقير إلىٰ رحمة ربّه الهادي محمّد بن علي الاسترابادي في أواخر شهر ذي الحجّة الحرام بمكّة المكرّمة زادها الله تعظيماً وتشريفاً سنة ستّ عشرة بعد الألف سنة ١٠١٦هـ (١٦٠٧م) حامداً مصلّياً علىٰ محمّد نبيّه وآله مسلّماً مستغفراً عفي عنهما بمحمّد وآله»[١].

وقد قرأ رحمة الله الگيلاني الحيدر آبادي مؤلّف **برهان القارئ في تجريد كلام الباري** في مكّة علىٰ أحمد الجكمي، وكان نزيل حيدر آباد الهند وحجّ منها ١٠٤٢هـ (١٦٣٢م) وعاد إلىٰ حيدر آباد ١٠٤٥هـ (١٦٣٥)[٢].

وقد تتلمذ حسين العيناثي العاملي في مكّة علىٰ محمّد أمين

---

(١) الروضة النضرة: ٣٩٨.

(٢) الروضة النضرة: ٢١٧.

الإسترآبادي[١]، وهو أستاذ الحرّ العاملي وقد أجازه سنة ١٠٥١هـ(١٦٤١م) كما ذكره في آخر **الجواهر السنيّة**. وقال الحرّ العاملي[٢]: «كان فاضلاً عالماً ثقةً صالحاً زاهداً عابداً فقيهاً ماهراً شاعراً، قرأ عنده أكثر الفضلاء المعاصرين، بل جماعة من المشايخ السابقين عليهم، وأكثر تلامذته صاروا فضلاء علماء ببركة أنفاسه. قرأت عنده جملة من كتب العربية والفِقه وغيرهما من الفنون، وممّا قرأت عنده أكثر كتاب **المختلف**، وألّف رسائل متعدّدة وكتاباً في الحديث وكتاباً في العبادات والدعاء وهو أوّل من أجازني وكان ساكناً في بلدة جبع ومات بها. انتهىٰ».

ويوجد بخطّه في مكتبة (مدرسة البروجردي) في النجف **الفوائد المدنية** لأُستاذه محمّد أمين فرغ منه مؤلّفه ١٠٣١هـ(١٦٢٢م) وفرغ من كتابته نهار الأربعاء ٢٧ ذي الحجّة ١٠٤٧هـ وكتب معه **الإثنىٰ عشرية الحجيّة** للبهائي في ١٠٢٥هـ(١٦١٦م) ورسالة في عدم جواز تقليد الميّت للشهيد الثاني. قال بعد ذكر نسبه: «المشتهر بابن الحسام العيناثي العاملي»[٣].

كما سافر جمال الدين ابن نور الدين علي الجبعي الموسوي العاملي (ت ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م)، قال الحرّ العاملي: «عالم، فاضل، مدقّق، ماهر،

---

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء ٤٤/١.

(٢) أمل الآمل ٧٠/١.

(٣) الروضة النضرة: ١٧٣ ـ ١٧٤.

أديب شاعر، كان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا، سافر إلىٰ مكّة وجاور بها ثمّ إلىٰ مشهد الرضاعليه السلام ثمّ إلىٰ حيدر آباد وهو الآن ساكن بها، مرجع لفضلائها، وله شعر كثير ومعمّيات، وله حواشٍ كثيرة، وأورد جملة من أشعاره»[١].

كما جاور مكّة محمّد باقر السبزواري، ابن محمّد مؤمن (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) في عام ١٠٦٢هـ (١٦٥٢م)، وقد وصفه الحرّ العاملي بـ: «العالم الفاضل الحكيم المتكلّم، الجليل القدر» وهو من المجتهدين المتبحّرين في علوم الدين وسائر الفنون والعلوم وأصناف المنطوق والمفهوم. وله الرواية عن محمّد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) وعن نور الدين علي بن علي بن حسين بن أبي الحسن العاملي (ت١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م)، وكان يدرّس بإصفهان بالمدرسة (السميعية) وأوقف لها مكتبة فاشتهرت المدرسة بعد تدريسه فيها باسمه[٢].

كما كان للميرزا محمّد أمين الاسترابادي صاحب **الفوائد المدنية** و**الفوائد المكّية** دور تعليمي مهمّ في مكّة والمدينة، فقد جاور المدينة ثمّ مكّة وبها توفّي سنة ١٠٣٦هـ (١٦٢٧م)، عنه أخذ جمّ غفير من العلماء

---

(١) الروضة النضرة: ١٢٢.

(٢) الروضة النضرة: ٧١ ـ ٧٢.

وتلمّذوا عليه، وله إجازته بخطّه لتلميذه المير عبدالهادي الحسيني التستري كتبها له علىٰ ظهر **الفقيه** بعد قراءته عليه في ١٠٢٩هـ (١٦٢٠م)[١].

وممّن كان لهم دور تعليمي مهمّ: حسن العاملي، ويظهر من إجازة محمّد مؤمن ابن شاه قاسم السبزواري (ت قبل ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م) لمير مرتضىٰ بن مصطفىٰ التبريزي التي كتبها في ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) له بخطّه الجيّد: «إنّي قد قرأت معظم الكتب الأربعة علىٰ شيخي ومعتمدي وثقتي المبرور المرحوم الفاضل النقي محمّد الشهير بنصر المحدّث التّوني﵀، ثمّ قابلت بعض ما بقى منها مع الشيخ المرحوم المغفور الورع التقي النقي الكامل الشيخ حسن بن المشغري وهما قد قرآ الكتب الأربعة وغيرها مدّة مجاورتهما ببيت الله الحرام علىٰ الشيخ السعيد الفاضل الكامل الميرزا محمّد الاسترابادي الذي يروي عن الشيخ إبراهيم بن علي بن عبدالعالي الميسي». كما قرأ علىٰ الميرزا الاسترابادي (ت ١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م) مؤلّف كتاب **الرجال** أَوَانَ مجاورته بمكّة[٢].

وكان الدرس الفقهي الذي يتّخذ من كتب (الحديث) و(الرواية) محوراً للعملية التعليمية مزدهر بشكل ملحوظ، وينقل الحرّ العاملي في ترجمته

---

(١) الروضة النضرة: ٥٦.

(٢) الروضة النضرة: ١٤٩ ـ ١٥٠.

لأحمد ابن الحسين النباطي العاملي أنّه : «كان عالماً فاضلاً أديباً صالحاً عابداً ورعاً ، وكان شريكنا في الدرس حال القراءة علىٰ زين الدين بن محمّد بن الحسن بن الشهيد والحسين بن الحسن بن يونس الظهيري العاملي والعمّ محمّد بن علي الحرّ العاملي في مكّة وتوفّي بالنبطية في ١٠٧٩هـ»[١] .

ويذكر الحسيني الكاشاني ، زين العابدين بن نور الدين بامتنان شديد تأثير زوجته وأمّ ولده محمّد الباقر ، «سكينة بيكَم رحمها الله التي كانت معينتي في طلب العلم بمكّة المعظّمة»[٢] وقد ماتت ودفنت في مكّة .

كلّ ذلك يؤكّد أنّ علماء الإمامية شاركوا في القرن الحادي عشر بفعالية في الحياة العلمية في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة ، مستفيدين من وجود كبار العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية الذين كانوا يتوافدون دون انقطاع لأداء مناسك الحجّ وزيارة قبر النبي ﷺ أو لمجاورة هاتين البقعتين المقدّستين .

٣) التصنيف العلمي :

لعلّ من أبرز المظاهر الدالّة علىٰ وجود حركة علمية نشطة في مكّة

---

(١) الروضة النضرة : ٣٨ ؛ رياض العلماء ٢٧٤/٣ .

(٢) فرحة الأنام : ١٠٧ .

والمدينة المنوّرة في غضون القرن الحادي عشر هو كثافة ما صنّفه العلماء المسلمون من كتب ومصنّفات علمية في مختلف العلوم الإسلامية وعلىٰ رأسها الفقه والحديث والتفسير والتاريخ وعلم الرجال والتراجم وعلم الفلك والطبّ والحساب واللغة.

ومن أبرز علماء الإمامية المصنّفين عبدالنبي بن سعد الجزائري (ت ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م)، الذي كتب في المدينة المنوّرة بأمر شمس الدين بن علي الشدقمي المدني شرحاً علىٰ **إرشاد الأذهان** عُرف بـ: **الاقتصاد في شرح الإرشاد**[١].

كما صنّف محمّد أمين الاسترابادي (ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م) **الفوائد المدنية والفوائد المكّية**، حيث كان متصلّبا في الأخبارية ضدّ الأُصوليّين وأهل العقل، ويظهر من **فوائده المدنية** أنّ له **شرح أُصول الكافي وشرح الاستبصار وشرح تهذيب الأحكام**، وقد ردّ علىٰ المحقّق الدواني والمولىٰ صدرا في حواشيهما علىٰ **شرح التجريد**، وله رسالة في البداء وأُخرىٰ في طهارة الخمر ونجاستها، وجواب مسائل الحسين الظهيري العاملي، و(**دانش نامه**) فارسي في مسائل كلامية متفرّقة، والمسائل الكلامية الثلاث في: (علم الله) و(ربط الحادث بالقديم) و(أفعال العباد). وقد شاهد الشيخ يوسف

---

(١) الروضة النضرة: ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

البحراني له حاشية بعض أبواب الطهارة من **المدارك**[١].

كما ألّف أحمد المكّي ابن شهاب الدين الفضل بن محمّد باكثير في مكّة عام ١٠٢٧هـ(١٦١٨م) كتابه **وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل** أخرج فيه مناقب أمير المؤمنين عليه السلام من كونه أخاً للرسول ووصيّاً ووزيراً له وغير ذلك من عقائد الشيعة، والله العالم بالسرائر[٢].

كما وضع خضر الموصلي (ت ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م) نزيل مكّة المعظّمة كتابه **الإسعاف** في ١٠٠٣هـ(١٥٩٥م)، ويظهر من **الإسعاف** كونه إماميّا كما في نسخة موجودة في مكتبة مدرسة (سپهسالار)[٣].

كما وضع الملّا خليل القزويني (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) بعض المصنّفات التي كتبها في مكّة المكرّمة، ويذكر الحرّ العاملي[٤] أنّه كان: «فاضلاً، علّامة، حكيماً، متكلّماً، محقّقاً مدقّقاً، فقيهاً، محدّثاً، ثقةً، جامعاً للفضائل، ماهراً، معاصراً، له مؤلّفات؛ **شرح الكافي** فارسي وشرح عربي و**شرح عدّة الأُصول** و**رسالة الجمعة** و**حاشية مجمع البيان** و**الرسالة القمّية**

---

(١) أمل الآمل ١١٢/٢.

(٢) الروضة النضرة: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) الروضة النضرة: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٤) الروضة النضرة: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

و**المجمل في النحو** و**رموز التفاسير الواقعة في الكافي** و**الروضة**. رأيته بمكّة الحجّة الأُولىٰ كان مجاوراً بها مشغولاً بتأليف حاشية **مجمع البيان**»[١].

ومن المصنّفين الإمامية شمسا الگيلاني الإصفهاني وهو من الذين وفِّقوا لمجاورة بيت الله الحرام، وتركوا تراثاً غزيراً ومتنوّعاً، ومن مصنّفاته: **إثبات الواجب** وأسئلة سألها عن أُستاذه ملّا صدرا (ت١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) و**التحقيقات** ألّفها سنة ١٠٤٥هـ(١٦٣٥م) و**حدوث العالم** و**تفسير هل أتىٰ**، والحاشية علىٰ الشرح الجديد والقديم **للتجريد**، والحاشية علىٰ شرح **حكمة العين**، والحاشية علىٰ كتاب **المعالم** واسمها **فصول الأُصول**، و**الحكمة المتعالية**، و**دفع شبهة ابن كمّونة**، و**شرح خلاصة الحساب** لأُستاذه البهائي و**العلم الإلهي** أو **النورية** ألّفها بمكّة ١٠٤٨هـ(١٦٣٨م)، وتوجد رسالته في علم الواجب، ورسالته في الوجود عند صدر الدين بن الشيخ أحمد الناهضي في النجف ذكر في آخره: «أنّه تمّ علىٰ يد مؤلّفه أقلّ العباد، المجاور بمكّة خير البلاد، وزادها الله تعالىٰ خيراً وشرفاً إلىٰ يوم الميعاد، أفقر خلق الله الغني محمّد المشتهر بـ: شمسا الجيلاني غفر الله له ولوالديه ولجميع من له حقّ عليهما أو عليه في تأريخ ١٠٤٨هـ حامداً مصلّياً مستغفراً»[٢].

وللبحث صلة...

---

(١) الروضة النضرة: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) الروضة النضرة: ٢٦٦ ـ ٢٦٧.